وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

أثر تظافر حروف المعاني في بنية المناجاة ودلالتها في الصحيفة السجادية

أ.م.د. أسيل سامي أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعين محمد الأمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

وبعد ..

إن هذا البحث يقوم على فرضية هي خصوصية المناجاة بوصفها كلاما قائما على الخطاب بين ذاتين تقع إحداهما تحت طائلة هم نفسي فلا تجد سبيلا للخلاص منه إلا عن طريق هذا النوع من الخطاب لذا تتخذ من

الذات الأخرى مكمنًا لأسرارها فتبوح لها بما يثقل ضميرها وتخصها بهذا الخطاب دون الآخرين ولبيان صحة هذه الفرضية قام هذا البحث الموسم بـ (أثر تظافر حروف المعاني في بنية المناجاة ودلالتها في الصحيفة السجادية) لأن هذه الفرضية تعتقد بأن المناجاة هي خطاب بين اثنين ولما كانت خطابا ستشيع فيها أساليب يغلب عليها الإنشاء وهذه الأساليب لا تقوم من غير الأداة وفي الغالب تكون هذه الأداة حرفا من مثل الحرف " يا " في النداء و " الهمزة وهل في الاستفهام و" لا و إلا " في الاستثناء .وقد اتخذ البحث من الإحصاء وسيلة لجمع نماذجه من المناجاة في الصحيفة السجادية واثبات صحة الفرضية كما اتخذ أسلوب الوصف والتحليل طريقة في البحث ، وقد قسمته على موضوعات هي (إضاءة لغوية على المناجاة)تناولت فيه الاصل المعجمي للمناجاة لأنطلق منه الى تحديد مفهوم المناجاة في الاصطلاح وعلاقة هذا المفهوم بفرضية البحث ، ثم بدأت بـ(لإحصاء والجدولة لتظافر حروف المعاني في مناجاة الصحيفة السجادية) التي يقوم عليها البحث ، وبعدها شرعت في الدراسة بشقيها البنية وكانت تنضوي تحت عنوان (أثر تظافر حروف المعاني في بنية المناجاة في الصحيفة السجادية) والدلالة وتنضوي تحت عنوان (أثر تظافر حروف المعاني في دلالة المناجاة في الصحيفة السجادية) وقد عولت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر النحوية والبلاغية هذا فضلا عن الصحيف السجادية . وهذا البحث بعيد عن الكمال أيما بعد يشوبه الخطأ والزلل لذا أرجو من قارئه أن يصحح ما شابه من خطأ وأن يجد لي العذر فيه وفي الختام ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، والحمد لله رب العالمين

إضاءة لغوية على المناجاة

المناجاة في اللغة هي (مصدر) مأخوذ من الفعل (ناجى) ،وناجى الرجل مُنَاجَاة، ونِجَاء: ساره. وانْتَجَى الْقَوْم، وتناجَوا: تساروا.والنَّجِيّ: المتناجون، انتجاه: إذا اختصه بمناجاته ، والنَّجِيُّ: فَعِيلٌ مِنْهُ وهو المُناجِي المخاطِبُ لِلْإِنْسَانِ والمُحدِّث لَهُ. يُقَالُ: نَاجَاهُ يُنَاجِيهِ مُنَاجَاةً، فَهُوَ مُنَاجٍ. وأَصْلُه أَن يَخْلو بِهِ فِي نَجْوَةٍ مِن الأرض. وقيل: أصله من النّجاة، وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه. أو أن تَنْجُوَ بسرِّك من أن يطلع عليك، والنَّجْوُ: السِّرُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ: نَجَوْتُه نَجْواً أَي سارَرْته، وَكَذَلِكَ ناجَيْتُه، وَالِاسْمُ النَّجْوى .[1] ويبدو ان هذه المادة قد ارتبطت بمعنى الاخفاء والستر للشيء المتحدث عنه حتى قيل النجوى هي (أسم للْكَلَام الْخَفي الَّذِي تناجي بِهِ صَاحبك كَأَنَّك ترفعه عَن غَيره وَذَلِكَ أَن أصل الْكَلِمَة الرّفْعَة ... لاتكون الا كلاما)[2] ، ولم يشترط بعضهم الاخفاء في النجوى حتى قيل هي (مَا يَتَفَرَّدُ بِهِ الجَماعَة والاثنان سِرّاً كَانَ أَو ظَاهرا)[3]فشرطها هنا التفرد ، ثم ان المناجاة ارتبطت بالهم فالنجية هي مَا يُنَاجِي الْمَرْء من الْهم وَنَحْوه يُقَال باتت فِي صَدره نجية أسهرته[4].

ومن هنا يتضح ان المناجاة لا بد ان تكون كلاما يخص به المناجِي المناجَى به دون سائر الآخرين علنا أو سرًا خفاء أو العلنية هذا لا يعني العلم بحديث النجوى وفحواه ولكن تعني ان تكون النجوى بين الناس وأمام أعينهم وليس في الخفاء منهم ولما كانت المناجاة على سبيل اسرار الحديث اقتضى هذا الامر قرب المناجَى من المناجِي وتمكنه من نفسه واستيثاق المناجِي به وإلا ما خصه بنجواه دون غيره ولا سيما ان النجوى قد ترتبط مع هموم النفس المناجية وما أشكل عليها ورغبتها في البوح بمكامنها وأسرارها على سبيل الخلاص والنجاة المتحققين عند مختزِن النجوى وحافظها المناجَى وكل هذا قد يقتضى في المناجاة أسلوبا خاصا يختلف عن سائر فنون الكلام الأخرى وهي الفرضية التي قام على أساسها هذا البحث فهو يفترض أن ثمة أساليب شاعت في مناجاة الامام السجاد أوجبتها طبيعة الخطاب بينه وبين الباري عز وجل وما يستوجبه الموقف الخطابي والحالة النفسية التي استدعت المناجاة في حينها من خوف أو حب أو شكوى أو .... وكل هذه الحالات النفسة التي تمر

على المناجِي في مناجاته تقتضي تغير مكانة المناجَى منه بعدًا أو قربًا وهو ما أُفرِز في الأساليب الإنشائية التي تلونت بها المناجاة في الصحيفة من نداء واستفهام وتعجب ورجاء وتمني فكان للأداة أو للحرف الدور الأكبر والأبرز في هذه الأساليب وللوقوف على هذا الأمر لابد من إحصاء لهذه الحروف لبيان مدى شيوعها في بنية المناجاة واثرها في هذه البنية ودلالتها .

الإحصاء والجدولة لتظافر حروف المعاني في مناجاة الصحيفة السجادية :

بعد قراءة المناجاة في الصحيفة السجادية واستقراء ما فيها من حروف المعاني وتظافر هذه الحروف اتضح ان تكرار هذه الحروف على الشاكلة الموضحة في الجدول المرفق في البحث مع أنه لابد من الإشارة إلى أن حروف المعاني التي تمت الاشارة اليها في هذه الإحصائية هي التي كان لها أثر في بنية المناجاة وعلى أن ثمة حروف معاني لم يشر إليها إذ لم يكن لها أثر واضح في البنية على ما فيها من دور بارز وملحوظ في دلالة المناجاة وهو ما سنتناوله في الجزء الخاص بالدلالة .

جدولة شيوع تظافر حروف المعاني في مناجاة الصحيفة السجادية

نوع الحروف المتظافرة	اسم المناجاة														
	التائبين	الشاكين	الخائفين	الراجين	الراغبين	الشاكرين	المطيعين لله	المريدين	المحبين	المتوسلين	المتقرين	العارفين	الذاكرين	المعتصمين	الزاهدين	المجموع
الابتداء بنداء محذوف الاداة	الهي	الهي	الهي	ـــــــــ	الهي	الهي	ـــــــــ	سبحانك	الهي	الهي	الهي	الهي	الهي	ـــــــــ	الهي	12
الابتداء بنداء محذوف الأداة مع التعويض عن المحذوف	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	اللهم	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	اللهم	ـــــــــ	2
الابتداء بحرف الندا	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	يا من	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	1
حذف أداة الندا ء مع كلمة الهي داخل المناجاة	6	3	4	2	2	2	1	1	1	ـــــــــ	1	2	3	ـــــــــ	1	29
حذف أداة الندا ء مع التعويض عنها في كلمة اللهم داخل	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	1	ـــــــــ	1	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	ـــــــــ	2

المناجاة															
يا + واو العطف	1	—	—	—	6	—	—	—	—	4	1	1	—	—	—	—	—	—	13
يا + و العطف + يا	2	—	—	—	2	—	—	—	—	—	1	1	12	—	—	—	12	—	30
تكرار يا داخل المناجاة	5	—	8	—	—	—	—	—	—	—	—	1	—	—	—	—	—	—	14
الانتهاء بيا النداء	1	1	—	1	1	3	1	3	2	2	3	2	3	5	2	1	2	28
تكرار واو العطف	12	22	12	12	16	20	16	41	38	12	29	27	27	17	13	314
ما + واو العطف + لا	1	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	1
إن الشرطية + من الاستفهامية	2	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	2	—	4
وا + واو العطف	2	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	2
أن النا صبة + واو العطف	4	2	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	6
هل	1	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—		—	1

ا+ لا		—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
إن الشرطية + إنَّ	2	—	—	—	1	—	—	—	—	—	—	—	—	—	3
لا + إلا	—	2	—	—	—	—	—	—	1	—	15	1	—	2	21
أن الشرطية + واو العطف + إن الشرطية	—	1	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	1
همزة الاستفام + ام	—	—	4	1	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	5
هل + أو	—	—	6	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	6
لا النافية + واو العطف + لا النافية	—	—	1	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	1
التمني بليت	—	—	3	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	3
كيف الاستفهامية	—	—	2	4	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	6
من الاستفهامية +ما النافية	—	—	—	2	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	2

إن الشرطية +قد	—	—	—	—	4	—	—	—	—	—	—	—	—	—	4
ليس + الا	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	1	—	—	—	1
لا + غير	1	—	—	—	—	—	—	—	—	2	—	—	—	—	3
لا + سوى	—	—	—	—	—	—	—	—	—	1	—	—	—	—	1
لا + دون	—	—	—	—	—	—	—	—	—	1	—	—	—	—	1
لم + إلا	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	1	—	—	1
النفي بما أو لا + أن الناصبة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	2	—	2
هل + سوى	1	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	1
ما + سوى	1														1

أثر تظافر حروف المعاني في بنية المناجاة في الصحيفة السجادية

إن الناظر في بنية المناجاة السجادية يجدها في الأساس قامت على أساسين هما الحذف والتكرار ، وهو ما يتضح من مستهل كل مناجاة منها فهي تبتدأ بنداء محذوف الأداة بقوله (إ لهي) [5] ، أو بقوله (سبحانك) [6] ، أو بنداء محذوف الأداة مع التعويض عنها بميم مضعفة بقوله (اللهمّ) [7]إلا في مناجاة الراجين [8] ، فإنها تبتدأ بنداء احتفظ باداة النداء بقوله (يا مَن إذا سأله عَبدٌ أعطاه)[9]. ناهيك عن أنه قد يكرر كلمة (إلهي) مع حذف حرف النداء في وسط المناجاة أو في أكثر من موضع من المناجاة إذ كان أعلى تكرار لهذه الكلمة في مناجاة التائبين إذ تكررت (6) مرات [10] ، على أن هذه الكلمة على وفق هذا الاسلوب لم تخل منها أية مناجاة جاءت في الصحيفة حتى تلك التي لم تبتدأ بكلمة (إلهي) [11]، هذا فضلا عن تكرار كلمة (اللهم) في مناجاة المطعين التي ابتدأت بهذه الكلمة [12]، وهذا الامر يدعم ما ذهبنا إليه من أن البنية في المناجاة تقوم على التكرار والحذف .

كما أن البنية في المناجاة تعتمد أسلوب النداء المذكور الأداة في خاتمة كل مناجاة إلا في بنية مناجاة الخائفين التي خلت خاتمتها من هذه الاسلوب[13] ، ويبدو أن الذي دعاه إلى الاختلاف في هذه المناجاة أنه أكثر من النداء

في الفقرة الأخيرة منها حتى أنه استعمله (8) مرات بقوله (إلهي أنجني من أليم غضبك وعظيم سخطِك ، يا حنَّان يا مَنَّان ، يا رحيم يا رحمن ، يا جَبَّار يا قهَّار ، يا غفَّار يا ستَّار)[14] ، فهو بذكره لهذه الصفات الإلهي قد استوفى أسلوب النداء الذي يدعو به الله في خاتمة المناجاة الأخر وهو (يا أرحم الراحمين)[15] الذي لم تخل منه خاتمة أي مناجاة إلا مناجاة الخائفين التي اشرنا اليها سابقا ومناجاة الزاهدين التي ختمت بقوله (ويا أكرم الأكرمين) على أن هذه المناجاة لم تخل من (يا أرحم الراحمين) إذ جاءت متقدمة على الخاتمة[16] . وهذا يدفعنا الى القول بالتكرار أسلوبا في بنية المناجاة استهلالا وخاتمة بعامة هذا فضلا عن تكرار أسلوب النداء في الخاتمة وهو ما نجده في مناجاة الشاكرين ، و المريدين ، والمحبين ، والمتوسلين ، والمفتقرين ، والعارفين ، والذاكرين هذا فضلا عن مناجاة الزاهدين [17] .

والتكرار هنا كان أحد طريقين ، إما بتكرار الحرف نفسه أي حرف النداء (يا) مع تغيير المتعلق به من مكان إلى آخر ، هذا إذا لم يصب البنية النحوية الحذف فإن أصابها الحذف كرر المتعلق فقط كما في (إلهي ، واللهم) على إني أرى أن التكرار للحرف ظاهرا أو مقدرا قام كعنصر مرادف خلق تظافرا بين الحرف ونفسه مثل قوله(واكنفه تحت ظلك يا كريم يا جميل ، يا أرحم الراحمين)[18] .

والطريقة الاخرى تكون بتكرار الحرف مع حرف العطف الواو ليخلقا معا بتظافرهما في البنية تماسكا وتواشجا بين أجزائها وهو ما نلمحه في قوله (فانجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين ، ويا أرحم الراحمين)[19] .

وإذا تركت المستهلات والخواتيم للمناجاة وتحولت إلى البنية الداخلية أو الوسطى في المناجاة وجدناها لا تخرج أيضا عن هذين العنصرين وأعني التكرار والحذف والذي يدل على هذا الأمر هو ما نلحظه في الإحصاء إذ نجد أن (الواو العاطفة) مفردة ، كان لها النصيب الاوفر في المناجاة إذ بلغت مفردة (314) مرة ناهيك عن اشتراكها مع حروف المعاني الاخرى وهو ما يظهر في جدول الاحصاء ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على التكرار والحذف لأن (العطف على نية تكرار العامل)[20] ، وهذا يعني ان في البنية التي تأتي الواو فيها حذفا لأحد أجزاء الجملة وتكرارا للاسلوب ومن ذلك ما جاء في قوله (اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح اليك والحنين ، ودهرهم الزفرة والأنين)[21] ، والتقدير اللهم اجعلنا ممن دهرهم ... ومنه قوله (فكن أنيسي في وحشتي ، ومُقيلَ عثرتِي ، وغافرَ زَلَّتي ، وقابلَ توبتي ، ومُجيبَ دَعوتي ، ووليَّ عصمتي ، ومُغنِيَ فاقتي)[22] ، فالتقدير في جميعها (كن). وقد تحل الواو العاطفة عنصرا لتكرار الاسلوب والربط من غير الحذف من ذلك قوله (فلا تُولنِي الحرمان ، ولا تُبْلنِي بالخيبة والخسران) [23] ، فلا حذف هنا ولكن ثمة تكرارا للاسلوب . وربما كانت الواو الوسيلة للتكرار والربط في بنية المناجاة الواحدة كلها ولا سيما المناجاة التي تقوم على تكرار الأسلوب الواحد أكثر من مرة وهذا ما نجده مثلا في مناجاة (المفتقرين) إذ قامت بنية هذه المناجاة على تكرار اسلوبين هما الاستثناء المفرغ والنداء فتكرر الاستثناء المفرغ فيها (19) مرة والنداء (12) مرة والرابط في جميعها هو (الواو) إذ يقول (الهي كسري لا يجبره الا لُطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلا عَطفُك وإحسانُك ، ورَوْعَتِي لا يُسكِّنها إلا أمانُك)[24]، ويستمر على هذا المنوال من تكرار الاسلوب فتكون الواو هي العنصر الرابط المساهم في هذا التكرار والمشيرة إلى ذلك المضمر وهو كلمة (إلهي) ولا ينكسر هذا الاسلوب إلا ببدائل (إلا) من الاسماء وهي (غير ، وسوى ، ودون) في قوله (وكَربِي لا يُفرِّجُهُ سوى رحمتِك ، وضُرِي لا يكشفه غير رأفتك .....وقَرارِي لا يقِرُّ دُون دُنُوي مِنكَ)[25] ، ومرجع هذا التغير دلالي صوتي وهو ما سنشير اليه في القسم الخاص بالدلالة ،وكذا كانت الواو هي العنصر الرابط والمختزل للمضمر في قوله (إلهي ليس لي وسيلةٌ إلا عَواطِف رأفتك ، ولا لي ذريعةٌ إليك إلا عوارفُ رحمتِكَ ، وشفاعَةُ نبيك نبي الرحمة ، ومنقذِ الأمة من الغُمّة)[26] ، إن البنية المعطوفة هنا بنية واحدة غير مكررة مع تعدد مواضع حرف العطف لتعدد هذه البني المعطوفة واختلاف المعطوف عليه ومن ثم سيختلف المختزل في كل بنية من هذه البنى فكون المناجاة هنا مبنية على تكرار أحادي للبنى مع تعدد المختزلات .ويلاحظ على النصوص السابقة كلها عدم غياب حروف المعاني في النص

المعطوف_ لا ، وليس ، وإلا ، وغير ، ودون ، وسوى _ أي أن الواو تواشجت وتظافرت مع هذه الحروف وإن كانت بعضها ليست حروفا لأنها دخلت بدائل للحرف لصنع هذه البنية للمناجاة .

وهذا الأمر نفسه نجده مع اسلوب النداء المتكرر في بنية المناجاة إذ يتواشج الواو مع " يا" النداء في صناعة هذه البنية في قوله (فيا منتهى أمل الآملين ، ويا غاية سؤال السائلين ، ويا أقصى طلبة الطالبين ، ويا أعلى رغبة الراغبين ...)[27]، وربما كانت الواو نائبا عن " يا " مختزلة لها لأنها تمتلك صفة نية تكرار العامل كما في قوله (يا من إذا سأله عبدُ أعطاه ، وإذا أمَّلَ ما عنده بلّغَهُ مُناه ، وإذا أقبلَ عليه قرَّبه وأدناه ، وإذا جاهرهُ بالعصيان سترَ على ذنبِه وغطّاه ، وإذا توكَّل عليه أحْسَبَهُ وكَفَاه)[28] ، فالواو هنا اختزلت (يا من) الاداة والمنادى وتظافرت مع أداة الشرط " إذا " لتخلق بنية تكرارية قائمة على هذه الأداة مع فعل الشرط والجواب بل أن الواو هنا ذهبت إلى أبعد من ذلك فخلقت بنية تكرارية داخل البنية المكررة من غير ان تستند إلى أداة أخرى فعطفت جملة على جواب الشرط لتختزل في عطفها الأخير الداخلي (أداة الشرط مع فعل الشرط) فمنحت البنية ايقاعا وجرسا موسيقيا واضحا من خلال التكرار في بنيتين داخلية وخارجية .

إن ما تقدم لا يعني أن البنية في مناجاة السجاد متكأة في كل مواضعها على حرف الواو في خلق البنية التكرارية وانما تكون هذه البنية مستغنية عن هذا الحرف قائمة على عنصر التكرار فقط من مثل قوله (يا مُجيبَ المُضطرّ ، يا كاشِفَ الضُّرّ، يا عظيمَ البِرّ ، يا عليمًا بِما في السِّرّ، يا جَميلَ السِّترِ استشفعتُ بجودِكَ وكرمِكَ إليك)[29] فكأن حرف النداء " يا" هنا تظافر مع نفسه والمسوغ هو التكرار . أو قد تلجأ آليات البنية إلى حرف عطف آخر غير الواو لخلق هذا التكرار من مثل " أو " نحو قوله (هل تُسَوَّدُ وُجُوها خَرَّتْ ساجدةً لعظمتك ؟ أو تُخْرِسُ ألسنةً نَطَقَت بالثناء على مجدك وجلالتك ؟ أو تطبَعُ على قلُوبٍ انطوت على محبتك؟ ...)[30]، وبـ" أم " في قوله (إلهي اتراك بعد الإيمان بك تعذبني ، أم بعد حُبِّي إياك تُبعِّدني ، أم مع رجائي لرحمتك وصفحك تحرمني ، ام مَع استجارتي بعفوك تُسْلمُنِي ؟)[31].

الناظر في المناجاة السجادية يجد ان البنية الداخلية لها تقوم على أساس التكرار لنوعين من الجمل القصيرة والطويلة نوعا ما فأما القصيرة فمن مثل (والهمتَهُ ذِكْرك ، وأوْزَعْتَهُ شُكْرَكَ ، وشَغَلْتَه بِطاعَتِكَ)[32]، والبنية هنا تكتفي بالواو فقط رابطا فضلا عن الضمير، والطويلة من مثل (إن كان الندم على الذنب توبةً ، فأني وعزتك من النادمين ، وإن كان الاستغفار من الخطيئة حِطَّةً ، فأني لك من المستغفرين ، لك العتبى حتى ترضى)[33] ، وقد تنوع الرابط هنا لطول الجملة فكانت الواو هي الرابطة بين الجملتين الكبيرتين والفاء هي الرابطة بين جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط المؤلفتين للجملة الكبيرة .

وعادة المناجاة مقسمة على فقر يصار إلى الربط بينها عن طريق أسلوب النداء المحذوف الأداة في الغالب مع ألفاظ من مثل (إلهي ، واللهم)[34].

أثر تظافر حروف المعاني في دلالة المناجاة في الصحيفة السجادية

إن لتظافر حروف المعاني أثرا في دلالة المناجاة في الصحيفة السجادية وهذا يتضح من خلال البدائل الحرفية التي لجأ إليها الامام عليه السلام في الأسلوب الواحد فالغاية أولا وأخيرا هي الدلالة والمعنى ومن ذلك ما نجد في أسلوب الاستثناء المفرغ فنجده قد استعمل " هل " أداة للنفي في هذا الاسلوب في قوله (إلهي هل يرجعُ العبدُ الأبِقُ إلا إلى موالاهُ أم هل يُجيرهُ من سَخَطِهِ أحدٌ سواه)[35] وذلك لأن هل (قد يراد بالإستفهام بها النفي، نحو قولك: هل يقدر على هذا غيري، أي: ما يقدر. ويعين ذلك دخول إلا، نحو " وهل نجازي إلا الكفور ")[36] ، والاستفهام هنا انكاري (ويُرادُ منه النفي، مع الإنكار على المثْبِتِ كَيْفَ أَثْبَتَ مَا هو ظاهر النفي، وكانَ الواجبُ عليه أن يَنْفِي، أو مع الإنكار على المخاطب قضيَّته، وهي باطلةٌ في تصوُّرِ مُوجِّه الاستفهام.وقد يأتي بعدُه الاستثناء)[37] ، وإنما لجأ الى "هل " دون أدوات النفي المستعملة في هذا الموضع لأنه أراد أن يتلون النفي

بالاستفهام ويشرب بعض معناه لأنه في موضع حجاج وجدال ، ثم أنه نوع بين الأداة " إلا " والاسم " سوى " في الجملتين ومغزاه من ذلك زيادة التأكيد في دلالة العود والرجوع ممن كثرت خطاياه وذنبه الى موالاه وسيده وهذا المعنى تحققه الأداة " إلا "هنا دون" سوى "وذلك لما فيها وما جاء بعدها من مجانسة صوتية تتمثل في الجهد الذي يبذله الناطق بالهمزة في " إلا " و في " إلى " وذلك لأن الهمزة صوت مستثقل بدليل تخفيفهم له حتى قيل في وصف السكان منها والمتحرك بـ (أن الهمزة المتحركة أثقل من الساكنة، فإذا طرحت الساكنة طلبا للتخفيف كانت المتحركة بالطّرح أولى.)[38]، فالثقل الصوتي الذي حققته الهمزة هنا في " إلا " و" إلى " وفي "الأبق " من قبلهما وازاه وساواه في المعنى الثقل النفسي المتحقق من الأباق في " أبق" وهو فرار العبد من سيده وموالاه وتشدده في هذا الفرار على سبيل التستر والخفية منه فيكون هربه هذا لا عن خوف أو كد عمل وحكمه أن يرد إلى مولاه [39] ، وإنما استعمل الرجوع دون الرد لأنه اراد الطواعية في هذا العود لا الاجبار والقصر . أما استعماله لسوى وإن كانت اسما وليست حرفا وهو ليس مدار هذا البحث ولكننا نشير إليه لما فيه من قضية نحوية تسبقه القضية الصوتية في السين في هذا الموضع وهو المماثلة الصوتي المتحقق بين " سخطه " و"سواه" وهو ما يتحقق بالسين على أن " سوى " هنا بمعنى غير[40] في الاستثناء ولكننا نرى ان ثمة فرقا بينهما متحقق من جمعها بين وظيفة غير ودلالتها في الاستثناء وإيماءتها الى معناها المعجمي وهو المعادلة[41] ، وانتفاء المعادلة أو المسواة هو ما يقتضيه معنى الاجارة هنا ، وكذا الامر مع قوله (ما أجد لذنوبي سواك غافرا)[42]، وقوله : (وكربي لا يفرجه سوى رحمتك)[43]،ولا بد من الاشارة هنا إلى ان النحاة جعلوا سوى قاصرة على الظرفية إلا ماورد في الشعر فلا تعرب سوى إعراب ما جاء بعد " إلا " [44] ، وما جاء في الصحيفة ينافي ما قال به علماء النحو فقد جاءت " سوى " مسندا اليه أو متعلق بالمسند إليه . أما غير فكانت بديلا لـ " إلا " في قوله (وحاجتي لا يقضيها غيرُك ...وضُرِّي لا يكشفُهُ غيرُ رأفتك)[45]، فأراد معنى المخالفة والخلاف[46] أي الغييرية والتي قد تكون بين الشيئين المتفقين في الجوهر او بين المختلفين في الجوهر [47] وهذا يعنى أنه أراد عمومية النفي وعدم التحقق الا بالمستثنى المراد هنا ونفي كل ما قد يشاركه ولو في بعض صفاتها دون كليتها ، وأما دون الذي جاء بدلا هو الأخر لـ " إلا "فنجده في قوله (وقراري لا يقرُّ دُون دُنُوي مِنك)[48] ، والقضية الصوتية واضحة فيه بجلاء إذ تحققت عن طريق المماثلة الصوتية بين " قراري " وبين " يقر " وبين " دون " ودُوني من جهة أخرى هذا فضلا عن إرادة المغزى الدلالي في " دُون" وهو القصور وهو مقلوب من الدّنو والذي يعني الدنو والمقاربة [49]، والقرابة الدلالية واضحة بين "دون " وبين " دنو" لذا جاء الاختيار لها هنا دون سواه من الاسماء والحروف الصالحة لهذا الاسلوب ، وبعامة فقد كثر اسلوب الاستثناء المفرغ في مناجاة المفتقرين وهذا عائد إلى علاقة الافتقار بين العبد ومولاه التي تقتضي تعلق كثير من المعنى بهذا المولى دون غيره لأنه الملجأ الوحيد لهذا المفتقر إليه وهو السبب نفسه الذي جعل هذه المناجاة تفيض بأسلوب النداء فصفة الافتقار هي التي تجعل هذا المناجي يقصد من يرى فيه سدًا لافتقاره وحاجته من عرف بغناه وعدم احتياجه لغيره فما كان أفضل من النداء اسلوبا لتحقيق هذا التوجه والخطاب في المطالبة في تحقيق البغية لذا كان النداء بأم الباب " يا" التي تفيد نداء القريب المتوسط في البعد مقترنة بالواو العاطفة المعززة من قوتها بالتكرار .

وقد يكون لتكرار الحرف من غير الواو وظيفة دلالية تتحصل من تكرار البنية كاملة من غير حذف كقوله (يا مُجيبَ المُضطرِّ ، يا كاشِفَ الضُّرِّ، يا عظيمَ البِرِّ ، يا عليمًا بِما في السِّرِّ، يا جَميلَ السِّترِ استشفعتُ بجودِكَ وكرمِكَ إليك)[50] ، فتكرار النداء هنا من غير الاستعانة بالواو أضفى على النص توجها تكراريا متجددا الى المخاطب المناجَى باح بما في ضمير المناجِي من لهفة إلى شفاعته ولو كانت الواو وساطة في البنية التكرارية لضعف هذا التوجه التكراري ولكان الوصف متلبسا فيه وهو ما نجده في قوله (فيا منتهى أمل الآملين ، ويا غاية سؤل السائلين ، ويا أقصى طَلِبة الطالبين ، ويا أعلى رَغبة الراغبين ، ويا وليَّ الصالحين ...ويا أرحم الراحمين ، لك تخضُّعي وسؤالي) فهذا التراكم التكراري الذي ولدته الواو بتظافرها مع " يا " النداء جعلت السامع

والمتلقي في شوق ولهفة إلى معرفة بغية هذه المناجِي وسر هذا الإلحاح في استجلاب هذه الصفات التي تومئ بالحاجة والافتقار في المناجِي إلى المتصف بها لتكشف عن كينونته المفتقرة الى الذات الإلهية وعطاياها.

أما حذف حرف النداء في مستهلات المناجاة بقوله " الهي " أو حتى في منتصفها وهو ما يمكن ان يلحظ وبصورة بينة فيها [51] فأراه يعود إلى سببين ، الأول : لهفة المناجي وتعجيله بالخاطب الى من يناجيه ، والثاني : القرب النفسي بين المناجِي وبين المناجَى ولا سيما أنهما منفردان لا ثلاث معهما لذا لجأ المناجِي إلى الخطاب المباشر من غير وساطة أي الأداة فحذف اداة النداء .

ويبدو أن تكرار بعض الاساليب في مناجاة ما نابع من المعنى الذي من أجله قامت هذه المناجاة من ذلك ما نلحظه من تكرار اسلوب الاستفهام في المناجاة الرابعة وهي مناجاة الراجين ، ولما كان الرجاء هو الأمل ، وتعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل[52] ، كان الاستفهام وسيلة لتحقيق هذا الامل عن طريق تلون أساليبه وتعدد معانيه فتارة يخرج إلى النفي الذي يحقق بتظافره مع أداة أخرى معنى الاستثناء مثل قوله (كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك ؟! وكيف أؤمل سواك والخلقُ والأمرُ لك ؟!)،[53] ليخرج هذا الاستثناء بعد تظافره مع "الواو " الحالية إلى معنى التعجب ، أو قد يخرج إلى معنى التقرير كما في قوله (إلهي من الذي نزل بك مُلتمِسًا قِراك فما قَريتُه ؟! ومَن الذي أناخ ببابِك مُرتجياً نداك فما أوليته ؟)[54]،وهنا تحقق هذا المعنى من خلال تظافر اسم الاستفهام " من " مع الحرف النافي " ما " أو يخرج إلى معنى التعجب كما في قوله (كيف أنساك ولم تزلْ ذاكري ؟! وكيف ألهو عنك وأنت مُراقِبِي ؟!)[55] ، وانما تحقق هذا المعنى من تظافر أداة الاستفهام " كيف " بتظافرها مع أداة النفي والجزم والقلب " لم " في الاستفهام الاول ، ومع "الواو " الحالية في الاستفهام الثاني . إن أداة الاستفهام هنا وظفت مع غيرها من الحروف لتخلق معنى قائما على التناقض والتضاد بين أطراف التركيب ليخلص المناجِي من هذا الجو المحتدم بالمتخالفات المتضادة إلى تعلق رجائه بالمناجَى .

ولم يكن الاستفهام هو السبيل الوحيد إلى خلق هذا التضاد داخل البنية في المناجاة وإنما كان لحروف الشرط أثر واضح في هذه المسألة ومن ذلك قوله (إن كان قلَّ زادي في المسيرِ إليك ، فلقد حَسُنَ ظَنِّي بالتَّوكُّل عليك ، وإن كان جُرمِي قد أخافني من عقوبتك ، فإنّ رجائي قد أشعرني بالأمن من نقمتِك...)[56]، فالتوافق بين ما تفعله "إن " الشرطية من إسباغ دلالة الشك في تحقيق جوابها بتعليقه بشرطها وبين ما تفعله " قد" مع اللام مرة ومع "إنّ " في إسباغ دلالة اليقين في تحقق الجواب المتحققة من تظافر معنى التحقيق فيها والتوكيد في اللام وإنّ . وقد يكون التضاد متحققا من خلال حروف الجر من ذلك قوله (فارٌّ من سَخَطِكَ إلى رضاك ، هارب مِنْك إليك)[57] ، فكيف يكون الهرب منه إليه ؟! إلا إذا كان جامعًا لصفتين إحداهما تدعو إلى الهرب منه والأخرى تدعو الى اللجوء إليه فتجسد سخطا ورضا في الوقت نفسه ومن خلق هذا التوتر الدلالي هما حرفا الجر " من " و"إلى " .

وقد يقود تظافر الحروف الى معنى الترادف او التقارب الجزئي في المعنى ومن ذلك قوله (اللّهُمَّ احمِلنا في سُفُن نَجاتِكَ ، ومَتِّعْنا بلذيذ مُناجاتِك ، وأورِدْنا حِياضَ حُبِّك ، وأذقنا حلاوة وُدِّك وقُربِكَ ، واجعل جِهادَنا فيك ، وهَمّنا في طاعتِكَ ، وأخلصْ نِيَّاتِنا في مُعامَلَتِكَ ، فإنَّا بِكَ ولَكَ ولا وسِيلَةَ لنا إلا أنت)[58] ، فقوله " فإنَّا بِكَ ولَك" يختزل كلامه الذي تقدم والمعنى أننا نقوم بك ولك ونتوسل بك اليك .

الخاتمة

خرجت من بحثي هذا بمجوعة من النتائج من أهمها :

- اتخذت المناجاة عند السجاد طريقة واحدة في المستهل وهو الخطاب عن طريق اسلوب النداء المحذوف أداة النداء في الغالب ، وإن لم تخل مناجاته في بعض منها من حرف النداء في المستهل .

- اتخذت المناجاة طريقا واحدة في ختام المناجاة غالبا وهو اللجوء إلى أسلوب النداء الذي يخرج إلى معنى الدعاء وفي الغالب كانت المناجاة تختم بعبارة " يا أرحم الراحمين "
- اتخذت المناجاة في بنيتها الداخلية سبلين هما الحذف والتكرار ونعني به حذف الحرف أو تكراره وهذا يعني أن الأسلوب قد تكرر في البنية إذ من آليات التكرار أن يقوم أحيانا على حذف جزء من بنية الاسلوب القائمة على التكرار والقصد الإيجاز ، أو قد يكون التكرار قائما على اعادة الحرف مرة أخرى أي الاستنساخ المتكرر للصيغة نفسها والغاية هي التأكيد على المعنى أو أثارة الشوق واللهفة عند السامع لمعرفة بغية المخاطِب ، أو الاستئناس بالمخاطَب من المخاطِب .
- لما كان التكرار أسلوبا من أساليب البنية الداخلية في المناجاة كان للعطف دوره البارز في خلق هذا التكرار ولا سيما حرف العطف " الواو " الذي يفيد الاشراك .
- كثر اسلوب الاستفهام في المناجاة وقد تظافرت أدوات الاستفهام الاسمية والحرفية مع حروف أخرى لتلون هذا الأسلوب بدلالات مختلفة من انكار وتقرير وتعجب ونفي واستثناء.
- مازجت المناجاة بين أدوات النفي " لا" و"ما " و"هل " الاستفهامية التي خرجت إلى النفي في اسلوب الاستثناء المفرغ وذلك بالاستعانة بالأداة " إلا " تارة أو باللجوء إلى بديلاتها الاسمية من مثل " غير ، وسوى ،ودون " والحاكم في ذلك كله هو المعنى .
- تعاضدت حروف الجر في خلق دلالات تضاد تارة في المناجاة ودلالات ترادف تارة أخرى .

المصادر والمراجع

- البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ) ، ط1،الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، 1416 هـ - 1996 م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) ،المحقق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
- كتاب التعريفات ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) ،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء ،ط1،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ،1403هـ -1983م
- تهذيب اللغة ،محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) ،المحقق: محمد عوض مرعب ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1، 2001م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ،أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : 749هـ) ،شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، ط1 ،الناشر : دار الفكر العربي ،هـ - 2008م
- الجنى الداني في حروف المعاني ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: 749هـ) ،المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل ، ط1،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، 1413 هـ - 1992 م .
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ) ،المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت ،ط4،الناشر: دار الشروق - بيروت، 1401 هـ

- الصحيفة السجادية الكاملة ، زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، دار الأضواء ، ط1، 2009
- كتاب العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،الناشر: دار ومكتبة الهلال
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) ،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) ،دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة - 1414 هـ
- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)المحقق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط1 - 1412 هـ
- المعجم الوسيط ،المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة
- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارون ،الناشر: دار الفكر ،1399هـ - 1979م
- النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: 1398هـ) ،ط15، الناشر: دار المعارف .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ،المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م

الهوامش

---

[1] - ينظر : مقاييس اللغة ، احمد بن فارس (نجو) 399/5 ، ومفردات غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : (نجو) 793،النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الاثير : (نجو): 5/ 25 ، ولسان العرب ، ابن منظور : (نجو) 308/15 ، وتاج العروس ، الزبيدي : (نجو) 40 / 30

[2] - الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : 63.

[3] - تهذيب اللغة ، الأزهري : (نجي) 135/11 .

[4] - ينظر : المعجم الوسيط ، ابرهيم مصطفى وآخرون : (نجو) 905/2

[5] - ينظر : الصحيفة السجادية : 227 ،229، 230 ،234، 236، 241، 243، 244، 246 ، 248، 251.

[6] - ينظر : المصدر نفسه : 239

[7] - ينظر : المصدر نفسه : 238 ، 249 .

[8] - ينظر : المصدر نفسه : 232

[9] - المصدر نفسه : 232 .

[10] - ينظر : المصدر نفسه : 227-229

[11] - ينظر : المصدر نفسه : 239 ، 238 ، 233، 250

[12] - ينظر : المصدر نفسه : 238

[13] - ينظر : المصدر نفسه : 232

[14] - المصدر نفسه : 232.

[15] - ينظر : المصدر نفسه : 229 ، 230، 234، 236، 237، 239، 241، 243 ، 244 ،246 ، 247 ، 249 .

[16] - ينظر : المصدر نفسه : 252

[17] - ينظر : المصدر نفسه : 237 ، 239 ، 241، 243 ، 244 ، 246 ، 247 ، 252 .

[18] - المصدر فسه : 246 .

[19] - المصدر نفسه : 249

[20] - النحو الوافي ، عباس حسن : 314/2
[21] - الصحيفة السجادية : 242
[22] - المصدر نفسه : 241
[23] - المصدر نفسه : 244
[24] - المصدر نفسه : 244
[25] - المصدر نفسه : 244-245
[26] - المصدر نفسه : 243
[27] - المصدر نفسه : 245
[28] - المصدر نفسه : 232
[29] - المصدر نفسه : 229
[30] - المصدر نفسه : 231
[31] - المصدر نفسه : 230 -231
[32] - المصدر نفسه : 242
[33] - المصدر نفسه : 228
[34] - ينظر : المصدر نفسه : 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 233 وغيرها .
[35] - المصدر نفسه : 228
[36] - الجنى الداني ، المرادي :342
[37] - البلاغة العربية ، عبد الرحمن الدمشقي : 271/1
[38] - الحجة في القراءات السبع ، ابن خالويه : 65
[39] - ينظر : العين ، الخليل : (ابق) ، 231/5 ، ولسان العرب : (ابق) 3/10
[40] - ينظر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك ، بدر الدين المالكي :679/2
[41] ينظر : المفردات في غريب القرآن : 439 ، (سوى)
[42] - الصحيفة السجادية : 227
[43] - المصدر نفسه : 244.
[44] - ينظر : توضيح المقاصد والمسالك في شرح الفية ابن مالك :679/2
[45] - الصحيفة السجادية: 244
[46] - ينظر : معجم مقاييس اللغة : (غير) ، 404/4
[47] - ينظر : المفردات في غريب القرآن: (غير) ، 619
[48] - الصحيفة السجادية : 245
[49] - ينظر : معجم مقاييس اللغة (دنو) ، 303/2، والمفردات في غريب القرآن :(دون) 324
[50] - الصحيفة السجادية : 229
[51] - ينظر : المصدر نفسه : 227، و228، و229، و230 ، و 231، وغيرها
[52] - ينظر : التعريفات ، الجرجاني : 109
[53] - الصحيفة السجادية : 233 .
[54] - المصدر نفسه : 233
[55] - المصدر نفسه : 233.
[56] - المصدر نفسه : 234
[57] -المصدر نفسه : 235
[58] - المصدر نفسه : 238